التداولية والتحليل النقدي للخطاب:

مثال عن تحليلٍ في ملتقى الاختصاصات(1)

روث ووداك

جامعة لانكاستر، المملكة المتحدة

توطئة :

نُشر هذا المقال في مجلة(*) " SEMEN " العدد 27؛ أبريل سنة 2009. ويحتوي هذا العدد على ست دراسات علاوة على المدخل(1)، تولت أديل بوتيكليرك (Adèle Petitclerc) ترجمة أغلبها من الانقليزية إلى الفرنسية وذلك بمساعدة فيليب شيبين (Philippe Schepens). وهما اللذان نسقا أعمال هذا العدد بعنوان "**التحليل النقدي للخطاب** 1؛ **مفهوما السياق والفاعلِين الاجتماعيين**" . تهدف "أديل بوتيكليرك" من وراء ترجمة هذه البحوث إلى التعريف بالأعمال الانقلوسكسونية في مجال التحليل النقدي للخطاب، وترى أن هذا العدد المخصص لهذه الأعمال خطوة أولى في طريق تعريف مستعمل اللغة الفرنسية بما يجدّ من أبحاث في حقل يعتبر غير معروف نسبياً خارج الدائرة الانقلوسكسونية. وتذهب "أديل" إلى أن الباحثين الذين ترجمت بعض أعمالهم هم في طليعة مجال التحليل النقدي للخطاب ولهم نشرياتهم الخاصة ووراءهم جيل كامل من الطلبة.

ومن هؤلاء الباحثين روث ووداك، باحثةٌ لسانية تهتم بالتحليل النقدي للخطاب، ومن المؤسسين لهذا الحقل مع نورمان فيركلوف وفان ديك. ترتبط أعمال روث وُوداك بمدرسة فيينا في التحليل النقدي للخطاب. وترى أن هذا المجال نشأ رسمياً سنة 1991 وذلك في إثر انتهاء أعمال ندوة في أمستردام شارك فيها هذا الثلاثي المؤسس. ولعل ما يميز أعمال ووداك أنها تكتب بعدة لغات؛ بالألمانية والانقليزية والفرنسية، وساعدها في ذلك أنها تلقت تكويناً في اللغات السلافية وفي اللسانيات الاجتماعية؛ وهذا ما جعلها تنفتح على مختلف الدراسات في هذا المجال. وإلى جانب أن وُوداك باحثة مختصة في مجال التحليل النقدي للخطاب واللسانيات الاجتماعية —وربما بسبب ذلك– فهي باحثة

مناضلة كرّست بحوثها لمقاومةِ أشكال الميز العنصري، وكراهيةِ الأجانب، ومعاداةِ السامية، وطرحِ مشاكل المهاجرين، ودافعت بكل جرأة عن الفئات المهمشة والضعيفة، وقد تحصلت على جائزة فيتكانشتاين لسنة 1996، وعلى وسام الشرف سنة 2011 اعترافاً من وطنها النمسا بجهودها وعطاءاتها العلمية[1]. وألفت ووداك كتباً بمفردها كما ساهمت في تأليف كتب مع باحثين آخرين، ونشرت مقالات عديدة بمختلف المجلات المختصة، ومنها هذا المقال الذي ترجمناه من الفرنسية إلى العربية آملين أن نساهم ولو بقدر يسير في التعريف بهذه الباحثة وباتجاهها في تحليل الخطاب. روث وُوداك اليوم أستاذة كرسي في جامعة لانكاستر بالمملكة المتحدة منذ 2004.

المقال (الجزء الأول)

1-تقديم: عرض المسألة

1- يعكف هذا المقال على دراسة أبعاد مهمة في النظريات والمنهجيات التداولية الحديثة التي يمكن أن تطبق بكيفية مثمرة في البحث المعاصر المتصل *بالتحليل النقدي للخطاب* (**ت.ن.خ**. من الآن فصاعداً) المنكبّ على دراسة العنصرية، وكراهية الأجانب، ومعاداة السامية. وسأبين فيمَ يوجد هاهنا مجالٌ علمي خصبٌ متضافر الاختصاصات، وأوضحه من خلال دراسة حالة موجزة من الخطاب السياسي النمساوي الحديث. وعلى وجه التخصيص، يبدو التحليل الدقيق *لطبقات السياق* حاسما في كل تحليل نقدي للخطاب (انظر ووداك (Wodak) ، 2008،2009; بلومايارت (Blommaert) ،2005). تعنى التداولية بالمتكلمين والمخاطَبين ومقام التواصل، ولكن في مستوى لساني مصغّر، بينما تجوهلت وتُتجاهل في غالب الأحيان عوامل تصورية أخرى، وهذا على الرغم [من وجود] مفهومي الاقتضاء (المعارف المفترض أنها مشتركة) والاستلزام اللذين يتطلبان افتراضات نظرية مهمة تخص السياق (انظر أسفله).

2- ترى المقاربات النظرية الحديثة (مثلاً مقاربة تون فان ديك Teun Van Dijk 2001-2005) السياقَ من زاوية نظر عرفانية وتفترض "نماذج سياقية" تمكّن من معرفة المعلومات السياقية وأخذها بعين الاعتبار. وهكذا نكتسب، خلال تنشئتنا الاجتماعية، المعارف اللازمة لتأويل السلوكات اللغوية وفهمها وتذكرها، في ثقافتنا (أو في ثقافاتنا) على الأقل. ويُثبت فان ديك أيضاً أن وصف هذه النماذج

السياقية غير ممكن سوى في إطار نظرية ما "للمعرفة". على أنه لم يقُم حتى الآن بتفصيل الكيفية التي تُبنى بها مثل هذه النظرية. لا يمكن أن يؤسَّسَ أي هذا النوع من المعارف وهذه الأنواع من النماذج السياقية إلا على نظريات ضمنية أو صريحة ترتكز على علوم متجاورة، عن طريق تضافر علمي إدماجي (انظر وايس ووواداك Weiss & Wodak 2003). وفي حالة بعينها (أو في مقطع نصي بعينه)، يجب أن نرتكز على هذه الخلفية النظرية لبناء تأويلنا وتحليلنا بصفة متسقة وشفافة. نحتاج إذن إلى طبقات سياقية متعددة تحتوي كلٌّ منها معارف مختلفة (Wodak, 2009 ;Jager & Maier, 2009).

3- "السياق" مفهوم لصيق بتحليل الخطاب، ومسهم بقدر كبير في الطريقة التي يمكن أن يتم بها تطبيق تحليل الخطاب ضمن مقاربات متضافرة الاختصاصات (انظر ووداك ووايس 2004). وفي أثناء البحث المعمّق في مشكلات اجتماعية معقدة، من الضروري الاستناد إلى مقاربات تابعة لنظريات متعددة من أجل تحليل سياقات معينة وربطها بالنصوص. ولكي يكون ذلك ممكناً بكيفية ذكية، لا بد من اتخاذ قرارين يتصلان بالأسس النظرية لتحليل الخطاب وتضافر الاختصاصات فيه. بعبارة أخرى، يتعلق الأمر بمعرفة ما إذا كان تضمين السياق في التحليل اللساني و تعريفُ السياق يتوقفان على قرارات نظرية قبْليةٍ. بيد أن المقام لا يسمح بتفصيل القول في اتخاذ القرار هذا، لذا بالإمكان الإحالة على وايس و ووداك (2004). ومهما يكن فإن مفهوم "السياق" مفهوم مركزي في مقاربتي لـــ **ت.ن.خ**. ولأجل ذلك اقترحت نموذجاً يتألف من أربعة مستويات (3) سأتوسع في عرضه لاحقاً بقصْد استيفاء الأهداف المسطَّرة للتحليل.

4- سيتم هنا تحليل الأنظمة التداولية مثل التوريات/الإيحاءات، واللعب بالكلمات، والاقتضاءات والاستلزامات من داخل وظائفها المتعددة وذلك في صلب البلاغة السياسية النمساوية بعد الحرب [العالمية الثانية] (انظر ووداك وآخرون، 1990 ; ميتان 1992،1997،2000 ; رايسيكل ووواداك 2001; ووداك ورايسيكل 2002; ووداك 2004 أ ; مارتن ووواداك 2003 ; بانكي ووواداك 2003أ و2003ب; هيير وآخرون.، 2003)، حيث تستخدم غالبا الأحكام المسبقة المعادية للسامية. وسأدرس بعض الشعارات الدعائية، والبلاغةَ التي جرى استخدامها أثناء الحملات الانتخابية الجهوية في فيانا سنة 2001.

5 – في هذه الحملة الانتحابية، استعمل الدكتور يورغ هايدر Jarg Haider رئيس **حزب الحرية النمساوي** يومذاك (Freiheitliche Partei Osterreichs, FPO) خطاباً مشفّراً اعتبره كثير من الناس منطوياً على تلميحات ودلالات عنصريةً ومعادية للسامية. على أن هايدر، بسبب الطريقة المشفّرة والضمنية التي صيغت بها هذه الملفوظات المليئة بالأحكام المسبقة، نجح في التنصُّل من كوْن ذلك قصده. ومن ثم

نفى الدلالات غير المباشرة والضمنية، وبدلاً منها ركز على الدلالة الحرفية للوحدات اللغوية المعنية. بالطبع ليست مثل هذه الاستراتيجيات الخطابية جديدة في السياق النمساوي (أو السياقات النمساوية) (أو في سياقات أخرى قومية)، وترجمتُه أن لهذه الاستراتيجيات تاريخاً خطابياً يعود إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، وذلك بسبب الإجماع على تحريم التعبير الصريح عن معاداة السامية، في الأماكن العمومية.

6 – وهكذا وجب على **ت.ن.خ.** الذي يهدف إلى تفكيك عميق للأساليب اللغوية الضمنية وغير المباشرة وكذلك الأحكام المسبقة الظاهرة، الالتفاتُ إلى النظريات التداولية وإلى "صندوق أدواتها" لكي يكون قادراً على الكشف والتحليل الممنهجين لآثار معاداة السامية، والدلالات المتخفية والمشفرة التي غالباً ما تتخذ في النص شكل مؤشراتِ محادثةٍ.

7 – لما كان ضيق هذا المقام لا يسمح بأن أعرض التطورات اللسانية العرفانية الحديثة المتصلة بالسلوكات اللغوية المعادية للسامية، فسوف أكتفي بالإشارة إلى وظائف الاستعارات االتصورية (شيلتون Chilton" 2005، ميسلوف Musloff 2006). يحلِّل هذا البحث [=شيلتون 2005] ما كتبه هيتلر في سيرته "ماين كامبف"*Mein Kampf*، وهو شديد الصراحة في معاداته للسامية، ويفكّك الاستعارات التصورية التي تحتوي عليها إديولوجيته المعادية للسامية. بالإضافة إلى ذلك ركز "شيلتون" Chilton (2005) على حقيقةٍ مفادها أن المقاربةُ التي يوفِّرها **ت.ن.خ** قد تبدو متجاوزةً، إن هي قيست بمقاربته العرفانية المرتكزة على عدة أعمال أنجزها مختصون في اللسانيات وعلم الأعصاب ولسانيون عرفانيون.

8 – ومع ذلك، فإن مقاربةً تكتفي بالبعد العرفاني عاجزة عن تفسير المكونات الوجدانية والشعورية للبلاغة المعادية للسامية، وكذا عن تفسير مجموعة كبيرة من العوامل السياقية الضرورية للتأثير النفسي الجماهيري في لحظة معينة وفي سياق معين (لماذا يتأثر بعض الأشخاص بينما لا يتأثر آخرون؟ لماذا يؤمن بعض الأشخاص بإيديولوجيات عنصرية/معادية للسامية في لحظة ما؟ لماذا تؤدي هذه الإيديولوجيات إلى أفعال مخصوصة نجمت عنها إبادة الملايين من الناس؟). بالإضافة إلى ذلك لا تَفحص المقاربةُ العرفانية (ولا تستطيع ذلك) الدلالات والتلميحات المعادية للسامية الكامنة أو غير المباشرة.

9 – يقترح هذا المقال حجة مغايرة: تتصف البلاغة اللاسامية النمساوية ما بعد الحرب بسمتين، طابعُها غير المباشر وتبعيتُها للسياق؛ وهذا بالذات ما يجعلنا في حاجة إلى نظرية متضافرة الاختصاصات

مدمجةٍ تؤلف بين التداولية وتحليل الخطاب وعلم الاجتماع العرفاني، والتاريخ، وعلم الاجتماع النفسي، والعلوم السياسية، الخ.

10- سأركز في ما يلي من هذه المقالة على ثلاثة ملفوظات فاهَ بها يورغ هايدر خلال الحملة الانتخابية لسنة 2001 (4):

مثال1: " السيد "هاوْبْل" له مستشارٌ في الحملة الانتخابية يُدعى كرينبارك (ضحكات عالية في القاعة). استقدمه من الساحل الشرقي[2*] ! أصدقائي الأعزاء لكم الاختيار بين كرينبارك الماهر في العلاقات العامة والاستشارات السياسية القادم من الساحل الشرقي وبين روح فيانا" !)

مثال 2:" لسنا في حاجة إلى تشجيعات من الساحل الشرقي. كفى وإلى الأبد. يتعلق الأمر من الآن فصاعدا بجانب آخر من التاريخ، تعويضات المهَجَّرين".

مثال3: " سيد موزيكانت: أنا لا أفهم بتاتًا كيف أن شخصاً يدعى أرييل يمكن أن تكون يداه وسخة إلى هذا الحد ...هذا لا أفهمه أبداً، ولكن أظن ...هذا لا يهمني، من الغد، سيرد، أليس كذلك... لكن هذه الأشياء لا تخيفني كثيراً" هايدر في 28 فيفري 2001، Mercredi des Cendres أربعاء الرماد (= أربعاء الرماد هو أول يوم من زمن الصوم المسيحي وعلامة على التوبة. خلال زمن الصوم، يجب على المسيحيين الصوم والتخلي عن أشياء يحبونها. يستمر زمن الصوم ستة وأربعين يوماً. في يوم أربعاء الرماد، يذهب المسيحيون لحضور القداس وتُرسم على جباههم إشارة الصليب بالرماد. وهو تذكير بأنّ الإنسان "رماد إلى رماد وتراب إلى تراب").

11 - لكي نكون في مستوى فهم وتحليل هذه الملفوظات التي تحتوي على معاداة للسامية كامنةٍ، من الضروري اقتراح الإثباتات النظرية التالية:

12- من أجل الإمساك بالطابع متعدد الأبعاد للعنصرية/ لمعاداة السامية، فإن مفهوم *العنصرية/اللاسامية التلفيقية* يفرض نفسه بنفسه: فهو يحوي كل أنواع العنصرية اليومية، والعنصرية إزاء الأجانب وغيرها من مفاهيم الإقصاء (مثل التمييز العرقي، والنبذ (6) والميز، الخ.). أعني بمعاداة السامية *التلفيقية*، بناء "الاختلافات" وجعْلها في خدمة الميز الإيديولوجي، والسياسي و/أو العملي في كل مستويات المجتمع. وتكوّن الصورُ النمطية القديمة والجديدة خليطاً من الممارسات الإقصائية؛ وتُستخدم كلما وقع اعتبارها ملائمة سياسياً للحصول على أصوات الناخبين على وجه الخصوص. إنها "عنصرية بدون عرق" يصبح فيها الخطاب الإقصائي فارغ الإحالة، وهذا يعني أنه ابتعد عن أي علاقة مباشرة بذاتٍ عرقية بعينها موجودة (اليهود، والسود، والغجر)، وغدا "خطاباً عائماً"- " empty signifier -

("دالاً فارغاً") (إرنستو لاكلو وشانتال موف، Ernesto Laclau et Chantal Mouffe 1985) يؤلّف فيه بين المواقف المعادية للسامية /العنصرية/المعادية للأجانب وصورٍ نمطية سلبية بعينها.

13 – يمثل إنشاءُ الزّوج "نحن" و"هم" إنشاءً خطابياً أساسَ الإدراكات والخطابات التي تحتوي على أحكام مسبقة معادية للسامية وعنصرية. يبدأ هذا الإنشاء الخِطابي بوسم الفاعلين الاجتماعيين، ويتواصل بتعميم صفات سلبية وينتهي بتهييء حجج لتبرير إقصاء أكبر عدد وقبول ثلّة قليلة. ويمكن أن تكون التحققاتُ الخطابية متفاوتةً من حيث الكثافة والخفّة، ومن حيث كونها صريحة أو ضمنية، وذلك بحسب المواضعات التاريخية، ومستويات التسامح الاجتماعي، وما هو مقبول سياسياً، والسياقِ والمجال العموميين.

14 – انطلاقا من هذا الواقع، فإن مفاهيم "النص" و"الخطاب"، و"السياق" و"سياق المقال" يجب أن توضَّح ويُنظَّر لها في إطارٍ تتضافر فيه الاختصاصات ويؤلّف بين **ت.ن.خ**. والتداولية ويدمجهما. ورغم أن التداولية تَعتبر نفسها دائماً مكملة للدلالة، مثلما بيَّن ذلك بول شيلتون في كتابه *تحليل الخطاب السياسي*، ورغم أن البحث في مجال التداولية حاول تمييز السمات المهمة للسياق المباشر (المخاطِبين والمخاطَبين، ومقام التواصل، والانتظارات، والمقاصد، الخ)، فإن هذه السمات وغيرها التي لها الأهمية ذاتها غالباً ما ظلّت غامضة، وتُرِك أمر توضيحها للحدس الذاتي للباحث أحياناً (انظر رايسيكل 2004). من جهة أخرى كثيراً ما أهمل قسطٌ كبير من البحثِ في **ت.ن.خ**. التحليلَ المعقّد والدقيق للدلالات الضمنية والمستنبطة، وترَكَ لحدس الباحث و/أو القراء تأويلَ الدلالات الضمنيةِ، والمقتضاةِ، والمستنبَطة.

15– أضِف إلى ذلك أن مقاربةً تجمع بين التداولية المدمِجة وتحليل الخطاب من حقها أن تُستكمل بتشكيلة من مفاهيم نظرية لسانية أخرى، وكذلك بنظريات علوم أخرى مجاورة. ولا يجب أن يوجد إطار نظري من هذا النوع في شكل "مظلة تجريدية"، أو في شكل "إطار عام"، منقطع الصلة عن التحليل الملموس والصريح؛ بل يجب أن يجعلنا مثل هذا الإطار قادرين على اختيار المقولات المناسبة للتحليل في حد ذاته وتبريرها (انظر فان ديك،2003 ; ووداك، 2000أ وب).

16– على التحليل اللساني للأساليب التداولية في وضعية معينة أن يمتح من أدوات تحليلٍ متنوعة ومختارة على نحو يلائم هذا الهدفَ الخاص (في مثالنا يتعلق الأمر بالخطاب السياسي – كلام أرسله خطيب عبر وسيلة إعلام – يعبر عن أحكام مسبقة معادية للسامية). بخصوص المثال الملموس الذي أعالجه هنا أقترح التمشيات [=الإجراءات] والمراحل التالية للتحليل:

17– *تحليلاً تاريخياً* لمعاداة السامية ولتعابيرها الشفوية (يعني "اللغة المشفرة").

18- *تحليلاً اجتماعياً عرفانياً* للذاكرة الجماعية وضروب التأطير التي توجّه اكتساب المعارف المخصوصة التي تمكن من فهم "اللغة المشفرة".

19- *تحليلاً اجتماعياً سياسياً* للحملة الانتخابية، وللنقاشات الدائرة، وللأحزاب السياسية المشاركة فيها؛ هذه الأبعاد الثلاث تشكل *السياق الموسع*.

20- *نظرية أنواع*؛ وظائف الخطابات السياسية (استراتيجيات الإقناع، التقديم الإيجابي للذات/السلبي للغير، البلاغة الشعبوية، الخ).

21- *مقام التواصل*، المتكلمون، الخ؛ الملفوظات الملموسة: هذا يعني *السياق المصغّر*.

22- *سياق* كل ملفوظ.

23- وأخيراً، يجب أن تحلَّل التعابير الشفوية باعتبار المقاربات *اللسانية التداولية/النحوية* (الاقتضاءات، والتورية، والاستلزامات، الخ، من حيث هي خاصياتُ معاداة السامية في "اللغة المشفّرة").

24- تدمَج مثل هذه الأساليب في *الاستراتيجيات الخطابية الشاملة* الخاصة *بالتقديم الإيجابي للذات وبالتقديم السلبي للغير*. وتَستعمل هذه الاستراتيجياتُ أنواعاً مختلفة من السمات اللسانية، والمجازات البلاغية، والأنماط الحجاجية/وأنماط إضفاء الشرعية. وفي الحالة التي تعنينا، يجب، علاوة على ذلك، أن نضع هذه الحملة الانتخابية في سياقها داخل خطابات أخرى حول الأجانب، واليهود، والأقليات، والمجموعات المهمشة في النمسا وفي أوروبا، وذلك بهدف التعرف على *التضافر الخطابي* والتناص ووضع بعض الطوباويات (certains topoï) والحجج (7) في سياق جديد، في كثير من الأنواع وكثير من المجالات العمومية.(8)

25- أقول باختصار إن هدفي من هذه المقالة يكمن في بيان المجموعة الموسَّعة والمنتظمة من الأدوات المنهجية التي نحتاجها للحصول على تحليل لساني سليم، وواضحٍ، وقابلٍ للاقتفاء (9). من المهم أيضاً الإلحاح هنا على الحقيقة التالية: رغم أن موضوعي الأول، باعتباره تحليلاً (نقدياً) للخطاب، يتخذ وجهة البحث في "مشكلة اجتماعية"، مثل العنصرية أو معاداة السامية، فإن هذا المنظور الابستيمولوجي لا يعني أن التحليل اللساني المفصَّل، والتنظيرَ اللساني يحظيان بأهمية أقلّ. العكس هو الصحيح، وذلك لأن كل التيارات التي تشتغل داخل **ت.ن.خ.** تجعل تفسير/فهم "المشكلات الاجتماعية" هدفها الأساسي في البحث، ولكن في الوقت نفسه، يميل كل تيار إلى تبني وجهة محدَّدَة في التحليل اللساني(10).

26- سأقدم في ما يلي، توخّيًا للاختصار في المقام الأول معلومات تاريخية/سياسية (السياق الموسع) تهم الحالة التي أدرسها؛ وبعد ذلك سأبسطُ المفاهيم اللسانية الأهم، والمقاربةَ التاريخية للخطابات في **ت.ن.خ**. وأخيراً، سيوضّح التحليل المفصَّل للأمثلة المقتطفَة من الحملة الانتخابية، وخطابات جورج هايدر المذكورة أعلاه، الإطارَ النظري الإدماجي للتداولية و **ت.ن.خ**.

2- السياق الموسع: "خطاب الصمت/ اللغة المشفرة"

27- تتمثل الخطوة الأولى من التحليل في معالجة السياق الموسع لخطاب الحملة الانتخابية في سنة 2001. ويجب علينا بالتدقيق طرح السؤال الآتي: لماذا يقع التعبير عن دلالات معاداة السامية "بطريقة مشفرة"؟ نجد الإجابات الأولى في خلفية النمسا ما بعد الحرب.

28- أصبحت الملفوظات المعادية للسامية الصريحة محرَّمة في السياق الرسمي لما بعد 1945، وذلك بسبب الفظائع التي ارتكبتها النازية وبسبب مشاركة العديد من النمساويين في المحرقة النازية. ومع ذلك فقد أظهرت العديد من الدراسات التجريبية الكميةِ منها والنوعية أن اللاسامية ما تزال موجودة، بالصور النمطية نفسها، وبالأحكام المسبقة نفسها التي كانت موجودة في الفترة النازية وفي ما قبل سنة 1938. يضاف إلى هذا أنه تمَّ خلق صور نمطية جديدة -لها صلة بقضايا التعويض المادي- تتهم اليهود أساساً "بكونهم أغنياء على كل حال" و"باستغلال شعب كان هو نفسه ضحية" (انظر مارين،2000). ولقد ساهمت الصراعات في منطقة الشرق الأوسط منذ الانتفاضة الثانية وحرب العراق سنة 2003 في زيادة الإحساس بالاستياء. وغني عن البيان أن تلخيص تاريخ الأحكام المسبقة المعادية للسامية في النمسا في هذا المقال أمر مستحيل (لكن للاطلاع على المزيد ينظر ميتّان، 1997، بيلينكا، ووداك، 2002)؛ ومع ذلك لا تخفى أهمية القول إن معاداة السامية والأحكام المسبقة، والصور النمطية المعادية للسامية ، قد استُعملت دائماً ولا تزال تُستعمل أدواتٍ لتحقيق أغراض سياسية في ظل الجمهورية النمساوية الثانية. وسنهتم هنا بمعاداة السامية التلفيقية: عندما يكون الحصول على أصوات الناخبين ضرورياً، تُستخدم الصور النمطية القديمة والجديدة عمداً في المناقشات السياسية (انظر أعلاه).

29- ومع ذلك، وبسبب تحريم التعبير الصريح عن معاداة السامية في الفضاء العمومي، وخاصة في الخطابات السياسية الرسمية، فقد وقع ابتكار طريقة مختلفة – ومشفّرة- للتعبير عن الأحكام المسبقة والصور النمطية لمعاداة السامية وذلك بعد سنة 1945. ووقع تحليل ذلك بالتفصيل في "ووداك، 2004" وسُمّيت "خطابات الصمت" (*discourses of silence*) . وهذا يعني أن المحتويات اللاسامية لا يمكن أن

يستنبطها إلا المتلقون الذين لهم دراية بخلفية هذه الإيحاءات/التوريات، أو الاقتضاءات وكذا بنشأتها. اكتسب المتلقون *المعارف* الضرورية *من خلال الذاكرة الجماعية أو الحكايات التي يقع تمريرها عبر الأجيال* (هير وآخرون، 2003؛ والزار، 2002؛ فان ديك، 1984؛ لوتز ووداك، 1987). وقد تلقوا تنشئتهم الاجتماعية داخل أطر عرفانية (*نماذج الحدث، وسيناريوهات استعارية*) وخطابات مخصوصة (انظر وداك، 2006أ)(11). وإذا وقع اتهام المتكلم فإنه يستطيع دائماً التبرؤ بإثبات أن ما فهمه الآخرون ليس ما "أراد (أو أرادت) قوله". هذا – من بين أمور أخرى– يجعل من التحليل الصريح لمثل هذه الأحكام المسبقة في الخطاب تحدياً حقيقياً للّسانيين، ولمحللي الخطاب وللتداوليين، وذلك باعتبار وجوب الإدماج المنتظم للسياقات الموسَّعة في التحليل، وكذلك السياقات المصغرة، وسياق المقال، والملفوظ موضوع التحليل.

30– بالإضافة إلى ذلك، توضع بعض *الطوباويات* الحجاجية في سياقات جديدة من مجال عمومي إلى آخر، وتتحقق تلك من خلال إجراءات لغوية مختلفة (ليديما، 1999؛ وداك، 2000ب؛ وداك وليديما، 2005). على أنني لن أولي العناية إلا للطوباويات التي تساعد على فهم وتفسير الحالة مدار الدراسة في هذا المقال الذي يعالج التجليَ الحديثَ للأحكام المسبقة المعادية للسامية في الخطاب السياسي في فيانا سنة 2001: ملفوظات يورغ هايدر ضد رئيس الجالية اليهودية في فيانا، آريال موزيكانت، طوال الحملة الانتخابية في فيانا سنة 2001.

3– تنظير السياق–المقاربة التاريخية للخطابات في التحليل النقدي للخطاب (ت.ن.خ).

3–1 مفاهيمٌ مفيدةٌ في التحليل النقدي للخطاب (ت.ن.خ.)

31– كثيرا ما تستعمل عبارات *اللسانيات النقدية والتحليل النقدي للخطاب* استعمالاً يفيد ترادفهما. في الواقع، يظهر أن مصطلح **ت ن خ** أضحى ذا أفضلية في الدراسات الحديثة، وهو مستعمل لتعيين النظرية التي وقع تعريفها سابقاً بأنها اللسانيات النقدية "**ل.ن.**". ويرى **ت.ن.خ**، اللغة "ممارسةً اجتماعية" (فيركلوف ووداك، 1997)، ويَعتبر سياقَ استعمال اللغة أساسياً (وايس و وواد، 2003؛ وداك و وايس، 2004أ و2004ب؛ وداك، 2004ب). ويجب أن تُعرَّف **ل.ن.** و **ت.ن.خ.** بكون بؤرة اهتمامهما تتمثل في تحليل العلاقات البنيوية للسيطرة، والميز، والسلطة، والمراقبة، كما تظهر في اللغة، سواء أكانت شفافة أم عاتمة.

32- توجد أربعة مفاهيم ضرورية جداً في كل **ت.ن.خ.** هي: مفاهيم، *النقد والسلطة والتاريخ والإيديولوجيا*. اسمحوا لي بأن أقدمها في عجالة، وبالتوالي:

33- ينطوي مفهوم **النقد** على دلالات شديدة الاختلاف عند كلٍّ منا: ينتسب بعض الباحثين إلى أفكار مدرسة فرانكفورت، وبعضهم إلى تيار النقد الأدبي، والبعض الآخر إلى أفكار ماركس (انظر رايسكل ووواداك، 2001؛ سايار، 2006، للاطلاع على نظرة شاملة). وبالأساس يمكن أن يفهم من النعت **نقدي** تركُ مسافة بيننا والمعطيات، ووضعها في سياقها الاجتماعي، وجعل المواقف السياسية المتبادلة واضحة، والقدرة على مراجعة الذات بوصفك باحثاً جامعياً ينجز بحثاً. إن الطابع التطبيقي للنتائج مهم بالنسبة إلى كل المهتمين بالـــــ**ت.ن.خ**، سواء أتعلق الأمر بالمدرِّسين، أم بالأطباء، أم بالمسؤولين في تنظيم المؤتمرات التطبيقية، وفي تقارير الخبراء، أو في إعداد الكتب المدرسية.

34- يناقش "طومسون"، (1990) مفهومي الإيديولوجيا والثقافة، والعلاقةَ بينهما وبين بعض مظاهر التواصل الجماهيري. ويشير إلى أن مفهوم الإيديولوجيا قد ظهر بادئ الأمر في فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر، وأنه قيْد الاستعمال منذ ما يناهز قرنين. وتطور هذا المصطلح ليتخذ وظائف ودلالات كثيرة ومتنوعة بحسب العصور. تحيل الإيديولوجيا في رأي طومسون على الأشكال والتمشيات الاجتماعية التي تتنقل بداخلها وبوساطتها الأشكال الرمزية في العالم الاجتماعي. أما **ت.ن.خ** فينظر إلى الإيديولوجيا وسيلةً مهمة لإنشاء علاقات السلطة غير المتكافئة، والحفاظ عليها. ويهتم **ت.ن.خ** بشكل خاص بالكيفيات التي تمرِّر بها اللغةُ الإيديولوجيا في مختلف المؤسسات الاجتماعية.

35- وترى النظريات النقدية التي ينتمي إليها **ت.ن.خ** أنها ذات منزلة خاصة تتمثل في قيادة الفعل الإنساني، وهدفها هو الإرشاد عن طريق المعرفة، وتوفير الدعم لعملية التحرر. ولا تسعى هذه النظريات إلى الوصف والشرح فقط، وإنما تسعى أيضاً إلى اجتثاث ضربٍ معين من التعمية. وحتى حين تختلف النظرية النقدية في شأن مفهوم الإيديولوجيا، فإنها تسعى إلى أن يعيَ الفاعلون الكيفية التي وقع خداعهم بها تخصوص احتياجاتهم ومصالحهم الخاصة. ونجد الشيء نفسه طبعاً لدى بورديو في مفهومي "العنف الرمزي" و"الجهل" (بورديو، 1989). ويتمثل أحد أهداف الـــ **ت.ن.خ** في "إزالة غموض" الخطابات بفك شيفرة الإيديولوجيات.

36- يرى **ت.ن.خ** أن اللغة ليست قوية في حد ذاتها، وإنما تكتسب سلطتها مما يستعملها فيه الأقوياء من الناس. و يركز الـــ **ت.ن.خ**، تماشيا مع ما سبقه من النظريات مستلهمةِ النظرية النقدية،

على الحاجة إلى عمل تتضافر فيه الاختصاصات من أجل الوصول إلى فهم سليم للطريقة التي تشتغل بها اللغة في بناء المعرفة ونقلها، وتنظيمِ المؤسسات الاجتماعية و ممارسة السلطة.

37- هناك وجهة نظر مهمة في **ت.ن.خ** ترتبط بمفهوم السلطة، ومفادها أن من النادر جداً أن يكون النص من عمل شخص واحد. وترجمته التفاوض الذي يقع في النصوص حول الاختلافات الخطابية التي تحكمها اختلافات السلطة، التي يتم تشفيرها وتحديدها جزئيا بالخطاب وبالنوع. وانطلاقاً من هذا تُعتبَر النصوص في غالب الأحيان مواقع صراعٍ من حيث أنها تحمل آثار مختلف الخطابات والإيديولوجيات التي يواجه بعضها بعضاً، وتتصارع من أجل السيطرة. وتوفر اللغة قاعدة دقيقةَ التمفصل لقيادة اختلافات السلطة داخل بنيات السلَّم الاجتماعي. وهكذا نادرة هي الأشكال اللغوية التي لم توضع، في وقت ما، رهن إشارة خطاب السلطة بواسطة استعارة نصية أو تركيبية. ويهتم الـــ **ت.ن.خ** بالطرق التي تُستخدم بها الأشكال اللغوية في مختلف تعابير السلطة وإدارتها. ولا تظهر السلطة فقط باستعمال هذا الشكل النحوي أو ذاك في النص، وإنما تظهر أيضاً بالرقابة التي يمارسها شخص ما في مناسبة ما خاصةٍ عن طريق النوع، أو عندما يتمتع هذا الشخص بإمكانية الولوج إلى بعض المجالات العمومية. و غالباً تتم بالضبط ممارسة السلطة أو تحديها عندما يقع الربط بين هذا النوع أو ذاك وهذه المناسبة الاجتماعية أو تلك.

3-2 النص والسياق

38- على الصعيد المنهجي، تتمثل إحدى طرق الحدّ من مجازفات التحيز وتجنب تغلب التسييس على التحليل عند محللي الخطاب تحليلاً نقدياً، تتمثل في اتباع مبدإ "التثليث" (سيكورال، 1969، انظر تفسير هذا المفهوم أسفله). وتتمثل إحدى السمات البارزة *للمقاربة التاريخية للخطابات* في أن هذه الأخيرة تسعى بجهد للعمل في ظل تضافر العلوم بمناهج متعددة، وعلى أساس مجموعة متنوعة من المعطيات التجريبية ومن نظريات السياق (انظر ووداك، 2001). ووفقاً لموضوع البحث، تهدف هذه المقاربة إلى تجاوز البعد اللغوي البحت، وإدراج البعد التاريخي، والسياسي، والاجتماعي، و/أو النفسي- وذلك بانتظام نسبي- في تحليل واقعة خطابية بعينها وتأويلها.

39 — في السنوات الأخيرة شهد البحث النقدي في مجال اللغة، والسياسة، وأشكال الميز تطوراً كبيراً (انظر شيلتون، 2004.، شيلتون وشافنار، 2002، 1997.، جيرنث، 2002.، جارّان، سارسينيلي، وساكسار، 1998.، كروبر، مانز وباناكل، 2003.،ويلسون، 1990.، ووداك وفان ديك، 2000.، بيلّيج، 2006.، ووداك وشيلتون، 2005). وسيقع باستمرارٍ تعريف مفهوم "الخطاب" بطرق شتى (12) بالنظر

إلى المقاربات النظرية الضمنية المخصوصة في كل مرة. وترتبط دلالة "الخطاب" إذن في تحليل الخطاب والسياسة ارتباطاً وثيقاً بالمقاربة النظرية وبالبحث السياقي على التوالي. وتتأرجح التعريفات الممكنة بين "استعمال لا يميز بين *النص والخطاب*"، رائجٍ أساساً في المقاربات الأنقلوسكسونية، وتعريفٍ دقيق متأت من التداولية اللسانية (انظر تيتشار،، مايار، ووداك، وفيتار، 2000).

40–وعُرّف مفهوم "السياسة" أيضاً بطرق عديدة، وذلك بحسب الإطار النظري المعتمد. ويمتد هذا التعريف بدءاً من توسيع ملحوظ للمفهوم يكون فيه كل ملفوظ وكل ممارسة اجتماعية للإنسان – باعتباره *حيوانًا سياسيًا zoon politikon*– "سياسةٌ"، حتى مفهومٍ للسياسة لا يشمل إلا استعمال اللغة من قِبَل رجال السياسة في مقامات ومؤسسات سياسية:

يُنظر إلى السياسة من جانب على أنها صراع عل السلطة بين الساعين إلى تكريس سلطتهم والساعين إلى مقاومتها، ومن جانب آخر ينظر إليها على أنها شكل من أشكال التعاون، وعلى أنها الممارسات والمؤسسات التي يتوفر عليها مجتمع ما لإيجاد حل لتضارب المصالح القائم على المال، والنفوذ، والحرية، وما شابه ذلك (شيلتون، 2004:3).

41– يتبنى شيلتون (2004) فكرة تصور تفاعلي للسياسة يمرُّ عبر البعدين المشار إليهما أعلاه. وهذه هي زاوية النظر المتبناة في هذا المقال أيضاً.

42– زد على ذلك لا تخفى أهمية تعريف المجالات السياسية والأنواع الملائمة في هذا الحقل (بمعنى نظريات *الحقول*، *والمظاهر ورأس المال* عند بورديو). ويمكن تلخيص أهم المجالات في التمثيل التالي:

التمثيل البياني عدد1: اختيار مختلف مظاهر الخطاب بما هو ممارسة اجتماعية

43– أستعملُ مقاربةً تثليثيةً (انظر سيكورال،1944) تعني أنْ "تتم دراسة الظواهر الخطابية من زوايا نظر منهجية ونظرية متنوعة تنتمي إلى علوم مختلفة". وترتكز هذه المقاربة على مفهوم السياق كما أفهمه، بمعنى أنه يأخذ بعين الاعتبار أربعة مستويات:

44– السياق المقالي لكل ملفوظ أو لكل قضية؛

45– السياق في "النص الكلي"(13)؛ تحليل النوع؛

46– السياق الاجتماعي السياسي لحدث الكلام؛

47- العلاقات بين الخطابات وعلاقات التناص التي يقيمها الحدث الكلامي مع أحداث أخرى مناسبة.

48- أوضّح في المثال التالي كل مستوى من مستويات السياق، وأجعل التحليل التسلسلي شفافاً، وذلك باتباع مقولات التحليل التي سيقع تعريفها أسفله. وسأتوقف بتفصيل عند الوسائل اللغوية التي تصل بين السياق الموسع والسياق المصغر. وهذا يعني أننا بحاجة إلى شرح كيفية إشارة بعض الملفوظات- التي تتم عبر أساليب تداولية لسانية – إلى سياقات خارجية غير لغوية، وذلك بطريقة دياكرونية وسانكرونية. ولا يمكن فهم تأثير مثل هذا الخطاب إلا إذا ربطناه بالتطورات السياسية النمساوية، والأهم من ذلك أن نربطه بتوظيف النزعة المعدية للسامية "المشفرة" في الخطاب السياسي الرائج في النمسا ما بعد الحرب.

ترجمة : منية عبيدي

كلية الآداب منوبة، تونس

مراجعة: محمد خطابي

الإحالات

-Critical Discourse Analysis I. Les notions de contexte et d'acteurs sociaux , 27 | 2009 Semen, ,N° http://semen.revues.org/8538 Sous la direction de Philippe Schepens et Adèle Petitclerc,

يُصدرُ المجلة (مختبر سيميائيات، لسانيات، ديداكتيك، معلوميات Laseldi)، في كلية الآداب، بوزانسون، فرنسا. هي مجلة نصف سنوية تديرها أندري شوفان-فيلينو Andrée Chauvin-Vileno؛ أما مجال اختصاص المجلة فهو سيميائيات النصوص والخطابات ولسانياتها. يحتوي العدد على تقديمٍ تكفل به فيليب شيفين ومدخلٍ بمثابة بسط لمفهومي "السياق" و "الفاعل الاجتماعي" في التحليل النقدي للخطاب تكفلت به أديل بوتيكليرك، ثم ست دراسات بالإنجليزية ترجمت خمساً منها بوتيكليرك وساعدها شيفين، بينما ترجمة الدراسة السادسة أوريلي لوبو.

1- هذا المقال ترجمةٌ لـــــ : "« Pragmatics and Critical Discourse Analysis : A cross-discipline Inquiry (2007), In Pragmatic & Cognition, 15, 1. Amsterdam : John Benjamins. Pp. 203- 225.
En préalable : **Philippe Schepens**

2- حاشية من وضعنا

3- توفّيَ [يورغ هايدر] سنة 2008

4- هذا النموذج فصِّلَ في مكان آخر، انظر على سبيل المثال ووداك .2008

5- نُشر تحليل موسّعٌ للحملة الانتخابية كاملة في ووداك وريزيكل، 2002.

6- حاشية آدال بوتيكلارك: تستعمل ووداك هنا بالانقليزية الكلمة « otherism » [=الآخَرية] وهي كلمة مولّدة جديدة نسبيا، ومفهومٌ من مفاهيم علم الاجتماع. يعيِّن تقاطباً في الآراء وانقسامها إلى مجموعتين: "مجموعتـــــنا" و "مجموعتـــهم"

["نحن" و "هم"] التي تُعرّى من كل قيمة ويمارَس عليها الميزُ لأن الأفراد الذين تتكوّن منهم ليسوا "نحن" وإنما "آخرون". يتعلق الأمر بميز مبني على الانتصار لمجموعتنا.

7- سواء في نظرية الحجاج *الطوبويات أو loci* يمكن أن تصور على أنها أجزاء من الحجاج تنتمي إلى المقدمات الضرورية، أكانت صريحة أم كامنة. هي تبريرات مرتبطة بمحتوى "قواعد النتيجة" التي تربط الحجج بالنتيجة، وبالإثبات. وبذلك فهي تبرر انتقال حجة أو أكثر إلى النتيجة (كيانبويتنار، 1992: 194).

8- انظر رايسيكل ووداك 2001، ووداك 2001من أجل الاطلاع على تعريف دقيق لهذه المصطلحات التي تعتبر مركزية في ت.ن.خ.

9- هذه الكلمة "retroductable" المولّدَة تستند إلى الكلمة الانقليزية « retroductable » استعملتها ووداك وقد استندت هي نفسها إلى الكلمة الألمانية « nachvollziehbar » وتعني أن التحليل الموصوف بها "يجب أن يكون شفافا بكيفية تجعل القارئ يستطيع فهم وإعادة رسم مراحل تحليلٍ نصي معمق ودقيق". كيندال، د. 2007. "ما التحليل النقدي للخطاب؟ روث ووداك في محادثة مع غافن كيندال" ضمن:

Forum : Qualitative Social Research, 8(2), Art. 29, en ligne:
http://nbn-resolving.de/urn:nbn:de:0114-fqs0702297

10-انظر ووداك ومايار، 2001؛ فيركلوف، 2003؛ بلومايارت، 2005؛ ووداك، 2004ب، 2006أ، ب؛ انظر رايسيكل ووداك، 2001: الفصل 2 للاطلاع على مزيد من التفاصيل حول المقاربة التاريخية للخطابات التي استعملت هنا.

11- "النماذج السياقية، والنماذج الحدَثيةُ تمثيلات ذهنية توجدُ في الذاكرة العرَضية (...) حيث يخزّن الناسُ معارفهم وآراءهم ذات الصلة بالوقائع المعاشة أو المعروفة (التي قرأوا عنها أو سمعوا عنها) (...). تراقب النماذج السياقية الجانب "التداولي" في الخطاب، وتراقب النماذج الحدثية الجانب "الدلالي" (فان ديك، 2001: 112)".

"بالإمكان وصف "سيناريو" [استعاري] بأنه مجموعة من الافتراضات التي صاغها أعضاءٌ أكفاءٌ ينتمون إلى مجتمع خطابي بخصوص مظاهر "نمطية" لوضعيةٍ أصليةٍ؛ ومثال ذلك المشاركون فيها وأدوارهم، الخط "الدرامي" للقصة ومآلاتها، أصناف التقويم المتواضع عليها، سواء أعُدَّت موفَّقة أم لا، مقبولةً أو غير شرعية، الخ. هذه الافتراضات وليدةُ الوضعية الأصلية يتم إسقاطها على التصورات المستهدَفة الخاصة (ميسلوف، 2006: 28)".

"هذه السيناريوهات الأصلُ شديدةُ الخصوصية... توجد في كل مكان وتعَدُّ سمة أساسية لاستعمال الاستعارة في مختلف مدونات الخطاب العمومية. تبدو السيناريوهات مسيطرةً على الخطاب العمومي، لا فقط باعتبار الوتيرة الشاملة وإنما لأنها تساعد أيضاً على تشكُّل مجرى المناقشات العمومية والتصورات في العشائر الخطابية الخاصة (ميسلوف، المرجع نفسه: 28).

12- انظر رايسيكل (2004) للاطلاع على نقاش حديث حول مفاهيم "الخطاب".

13- حاشية آدال بوتيكلارك: هنا يحتوي المستوى "الكلي" النصَّ كلَّه، مقابل المستوى اللساني "الجزئي" الذي يحيل على السياق المقالي المباشر.

---

* - "الساحل الشرقي" المقصود به جغرافياً مدينة نيويورك الأمريكية، وتاريخياً هي معقل اللوبيات اليهودية الغنية وذات النفوذ.